أهميته في العلاقات الفلسطينية ــ اللبنانية وتوترها هو دور النظام السياسي ، فهو نظام سياسي متحجر لا يريد أن يتطور على أي صعيد . لقد دفع فؤاد شهاب النظام في الحقل الاجتماعي الى بعض وجوه التطور . غير ان فؤاد شهاب وقف أمام حائط المال عندما باشر بعض اصلاحاته الاقتصادية التي ربما لم تكن ثورية على الاطلاق . كما وقف أيضا أمام حائط آخر ، حائط الذين يعتبرون النظام السياسي اقنوما جديدا من أقانيمهم لا يستطيعون التخلي عنه سواء بالنسبة للمجلس النيابي أم بالنسبة للحكم أم الرئاسة .

ازاء ذلك كان لا بد أن يشعر الجميع ، لبنانيين وفلسطينيين ، ان هذا النظام السياسي هو عدوهم ، عدو التطور ، عدو التقدم ، عدو الفئات التي تئن من الاحتكار اكانت وسطى أم محدودة الدخل أم صغيرة ، أم كانت من العمال ، كما هو عدو تطور المفهوم الوطني للبلد ، هذا المفهوم المتمثل في عبور اللبنانيين من اتحاد الطوائف او هذا التعايش الكاذب الذي ينفجر من آن الى آخر في فورات دامية ، الى انصهار هذه الطوائف ضمن شعب لبناني حقيقي وبمفهوم للوطن لا مفهوم للملجأ .

التبدلات الديموغرافية والتوازن القائم

العنصر الرابع يكمن في التبدلات الديموغرافية التي طرأت على التوازن الداخلي بين المسلمين والمسيحيين . وعلى الرغم من أن التمذهب والتشرذم قائمان داخل الفئات الاسلامية كما هما داخل الفئات المسيحية ذاتها الا أنهم يجتمعون عندما تبلغ الازمة حدها الاقصى. هذه التبدلات أخذت تتفاعل في الضمير المسيحي المتخوف من ان يسيطر المسلمون الذين اضحى عددهم يناهز ٦٥ في المائة ، وقد أضحى الموازنة ، في هذا العدد ، او في هذا التسلق لسلم التكاثر النسبي ، ثالث طائفة في لبنان بعد الشيعة ثم السنة ، وأصبح الارثوذكس بدورهم يتسلقون سلم النسل لكي يصبحوا تقريبا في موازاة الموازنة .

هذا ، بينما أخذت الحركات التقدمية والافكار الجديدة تلعب دورها في كل ذلك وتتخطى التناقضات ، وأحيانا تستعين بالتناقضات ذاتها ، في لعبة ذكية جدا تتجاوز ببعيد عدد المنتسبين للحركات التقدمية في لبنان ، فيظهر لمن هو خارج لبنان أن اليسار أصبح الاكثرية الساحقة في لبنان ، بينما الامر هو عكس الحقيقة تماما وعكس الواقع . غير انه أمام يمين غبي متحجر وأمام دولة لا تريد التطور ظهر هذا اليسار وكأنه هو المهيمن على الجماهير الغفيرة ، خاصة في المدن .

الاخطاء فلسطينيا

أما العنصر الخامس الذي يتحكم بالعلاقات الفلسطينية واللبنانية فهو عدم الانضباط الموجود في الصف الفلسطيني . هناك اخطاء ترتكب من خطف وسرقة سيارات واعمال مخالفة للقانون اللبناني ولأمن الثورة ذاته ولنظام الثورة . هذه الاعمال يتحملها فريق كبير من الناس لانه يجب أن نتذكر أن من بين ٤٠٠ الف فلسطيني الذين يعيشون في مخيمات فلسطينية هناك فقط ١٥ ألفا منهم يسكنون على باب المتن، فالمسلمون يتحملون هذه الاخطاء ، وربما بعضهم يضجون منها ويطالبون بتصحيحها وبالقضاء عليها بشكل مباشر وبالعنف النظامي المطلوب ؛ غير أن هناك فئات لا تستطيع ان تتحمل ذلك ، بل هي تستفيد من هذه الاخطاء فتستغل قطع طريق أو خطف انسان كي تقيم القيامة . هذا مع علمي الاكيد ، من خلال عملي وزيرا للداخلية ، أن نسبة المخالفات التي يقترفها الفلسطينيون في لبنان ــ حسب الاحصاء الموجود لدى قوى الامن ــ هي أقل نسبيا بكثير من المخالفات التي يرتكبها الجمهور اللبناني .